صيد الخاطر

258 - - فصل : رجاء الرحمة .

تأملت على الخلق و إذا هم في حالة عجيبة يكاد يقطع معها بفساد العقل .
و ذلك أن الإنسان يسمع المواعظ و تذكر له الآخرة فيعلم صدق القائل فيبكي و ينزعج على
تفريطه و يعزم على الإستدلاك ثم يتراخى عمله بمقتضى ما عزم عليه .
فإذا قيل له : أتشك فيما وعدت به ؟ قال : لا و [] فيقال له : فاعمل فينوي ذلك ثم يتوقف
عن العمل و ربما مال إلى لذة محرمة و هو يعلم النهي عنها .
و من هذا الجنس تأخر الثلاثة الذين خلفوا و لم يكن لهم عذر هم يعلمون قبح التأخر و
كذلك كل عاص فتأملت السبب مع أن الإعتقاد صحيح و الفعل بطيء فإذا له ثلاثة أسباب : .
أحدها : رؤية الهوى العاجل فإن رؤيته تشغل عن الفكر فيما يجنيه .
و الثاني : التسوية بالتوبة فلو حضر العقل لحذر من آفات التأخير فربما هجم الموت و لم
تحصل التوبة .
و العجب ممن يجوز سلب روحه قبل مضي ساعة و لا يعمل على الحزم غير أن الهوى يطيل الأمد و
قد قال صاحب الشرع صلى الله عليه و سلم : [صل الصلاة مودع] و هذا نهاية الدواء لهذا
الداء فإنه من ظن أنه لا يبقى إلى الصلاة أخرى جد و اجتهد .
و الثالث : رجاء الرحمة فيرى العاصي يقول : ربي رحيم و ينسى أنه شديد العقاب و لو علم
أن رحمته ليست رقة إذ لو كانت كذلك لما ذبح عصفورا و لا آلم طفلا و عقابه غير مأمون فإن
شرع قطع اليد الشريفة بسرقة خمسة قراريط .
فنسأل الله أن يهب لنا حزما يبت المصالح حزما